مجلة بحوث
كلية الآداب

البحث (٢٢)

السنة النبوية والأوجه العقلية لاستخدامها في التفسير بالمأثور

إعداد
الباحث / عدلى السيد أحمد عبد الحميد على
لدرجة الماجستير - كلية الآداب - جامعة المنوفية

تحت اشراف
أ.د / ياسر عطية الصعيدى
أستاذ الدراسات الاسلامية - كلية الآداب - جامعة المنوفية

السنة ٢٧ العدد (١٠٥) ابريل ٢٠١٦م

http : // Art.menofia . edu. eg *** E- mail: rifa2012@ Gmail.com

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

السنة النبوية والأوجه العقلية لاستخدامها في التفسير بالمأثور

الباحث / عدلي السيد احمد عبدالحميد علي

درجة الماجستير من كلية الآداب – جامعة المنوفية .

تحت إشراف

أ.د/ ياسر عطية الصعيدي

أستاذ الدراسات الإسلامية بكلية الآداب- جامعة المنوفية

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خاتم المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه والتابعين، وبعد:

فقد أنزل الله تعالى القرآن على نبيه ليبينه للناس قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾

(١)"وبيانه شامل لتبليغ ألفاظه وبيان أحكامه ومعانيه، وقد بين النبي القرآن أمره ونهيه، حلاله وحرامه، وسائر أحكامه (٢).

وقد وقع الإجماع من لدن المفسرين والأصوليين، حيث إنهم يتفقون جميعاً على أن السنة بيان للقرآن "فهي تفصيل مجمله، وبيان مشكله، وبسط مختصره"(٣)، لأنه لا أحد أعلم بمراد الله من رسوله(ﷺ).

مما سبق رأيت أن أتناول في هذا البحث الأوجه العقلية في استخدام السنة في التفسير بالمأثور، وقد انصبت الدراسة على تفسير "جامع البيان عن تأويل آي القرآن" للطبري، باعتباره أهم كتب التفسير بالمأثور.

وقد جاء هذا البحث في مقدمة وستة مباحث وخاتمة:

المبحث الأول: ماهية السنة وأقسامه.

---

(١) النحل: ٤٤ .
(٢) منهج الإمام ابن جرير الطبري في الترجيح: ٩٩.
(٣) الموافقات للشاطبي: ١٢/٤ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

المبحث الثاني: منزلة السنة من القرآن.

المبحث الثالث: التفسير النبوي للقرآن.

المبحث الرابع: حجية تفسير القرآن بالسنة.

المبحث الخامس: أوجه ثبوت الخبر النبوي.

المبحث السادس: الأوجه العقلية في تفسير القرآن بالسنة.

خاتمة.

والله من وراء القصد وهو الهادي إلى سواء السبيل.

المبحث الأول
ماهية السنة وأقسامها

يطلق لفظ السنة في الأكثر على "ما أضيف إلى النبي عليه الصلاة و السلام من قول أو فعل أو تقرير"[٤] مما هو تبيين للقرآن، و تفصيل للأحكام، و تعليم للآداب ، و غير ذلك من مصالح العباد .

وتنقسم السنة بحسب روايتها قسمين: متصلة السند، وغير متصلة السند، وينقسم الأول من حيث عدد رواته ثلاثة أقسام: متواتر ومشهور وخبر آحاد .

والمتواتر هو ما رواه قوم تحيل العادة تواطؤهم على الكذب ؛ لكثرة عددهم ، وتباين أمكنتهم عن قوم مثلهم إلى أن يتصل برسول الله ﷺ، أو هو "ما نقلته كافة عن كافة حتى تبلغ به النبي صلى الله عليه و سلم وهذا خبر لم يختلف مسلمان في وجوب الأخذ به وفي أنه حق مقطوع على غيبه؛ لأن بمثله عرفنا أن القرآن هو الذي تى به سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وبه علمنا صحة مبعث النبي صلى الله عليه وسلم وبه علمنا عدد ركوع كل صلاة وعدد الصلوات وأشياء كثيرة من أحكام الزكاة وغير ذلك مما لم يبين في القرآن تفسيره"[٥]

أما المشهور فهو ما رواه من الصحابة عدد لا يبلغ حد التواتر ثم تواتر في عهد التابعين وتابعيهم أو هو: " خبر جماعة لم يبلغوا في الكثرة مبلغا يمنع تواطؤهم على

---

(٤)توجيه النظر إلى أصول الأثر: للطاهر الجزائري الدمشقي: ١/ ٤٠.
(٥) توجيه النظر إلى أصول الأثر: ١/ ١٢٣.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الكذب فيه"[٦] ، فمن العلماء من يرى أنه ملحق بخبر الواحد فلا يفيد إلا الظن، ومنهم من يذهب إلى أنه يفيد ظنا قريباً من اليقين، ومع هذا العمل به واجب كالمتواتر، وإن امتاز هذا بأنه يفيد علما يقينياً .

والآحاد - ويسمى أيضا خبر الواحد - وهو ما عدا المتواتر والمشهور، وهو "الخبر الذي لم تبلغ نقلته في الكثرة مبلغ الخبر المتواتر سواء كان المخبر واحدا أو اثنين أو ثلاثة أو أربعة أو خمسة إلى غير ذلك من الأعداد التي لا تشعر بأن الخبر دخل بها في حيز المتواتر"[٧]، ولا عبرة للعدد فيه مادام لم يبلغ حد التواتر في عهد الصحابة ولا في عهد التابعين .

وأما القسم الثاني من السنة بحسب روايتها فهى السنة غير المتصلة السند، وتسمى المرسلة ، لعدم تقيدها بذكر الواسطة بين الراوي والمروي عنه .

وبين المحدثين والأصوليين اختلاف في تعريف المرسل، فعلماء الحديث يعرفونه بأنه قول التابعي: قال رسول الله ﷺ كذا ، والتابعون جميعاً في ذلك سواء، وخص بعضهم التابعي الذي أدرك جماعة من الصحابة، فالمرسل إذن لدى المحدثين هو ما سقط منه الصحابي الذي بين الرسول ﷺ والتابعي، أي أن المحدث يرويه بأسانيد متصلة إلى التابعي فيقول التابعي: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم"[٨] .

ويعرف الأصوليون المرسل بأنه قول غير الصحابي : "قال رسول الله ﷺ والتابعي ، وغيره في ذلك سواء ، فإن كان المتروك واحداً سمي الحديث منقطعاً وإن كان أكثر سمي معضلاً ، وعلى هذا يكون كل من المنقطع والمعضل من أقسام المرسل عند الأصوليين".

المبحث الثاني
منزلة السنة من القرآن

أنزل الله تعالى القرآن على نبيه ليبينه للناس قال تعالى: ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾[٩] "وبيانه شامل لتبليغ ألفاظه

(١) توجيه النظر إلى اصول الأثر: ١/ ١١١.
(٢) توجيه النظر إلى اصول الأثر: ١/ ١٠٨.
(٣) توجيه النظر إلى اصول الأثر: ١/ ٤٠٠.
(٤) النحل: ٤٤ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وبيان أحكامه ومعانيه، وقد بين النبي القرآن القرآن أمره ونهيه، حلاله وحرامه، وسائر أحكامه [١٠].

يقول الطبري: أنّ مما أنزل الله من القرآن على نبيه صلى الله عليه وسلم، ما لا يُوصل إلى علم تأويله إلا ببيان الرسول صلى الله عليه وسلم. وذلك تأويل جميع ما فيه: من وجوه أمره -واجبه ونَدْبِه وإرْشاده-، وصنوفِ نَهيه، ووظائف حقوقه وحدوده، ومبالغ فرائضه، ومقادير اللازم بعضَ خَلْقه لبعض، وما أشبه ذلك من أحكام آية، التي لم يُدرَك علمُها إلا ببيان رسول الله صلى الله عليه وسلم لأمَّته. وهذا وجهٌ لا يجوز لأحد القول فيه، إلا ببيان رسول الله صلى الله عليه وسلم له تأويلَه بنصٍّ منه عليه، أو بدلالة قد نصَبها، دالةٍ أمَّتَه على تأويله [١١].

وقد وقع الإجماع من لدن المفسرين والأصوليين، حيث إنهم يتفقون جميعاً على أن السنة بيان للقرآن "فهي تفصيل مجمله، وبيان مشكله، وبسط مختصره"[١٢]، بل إن السنة النبوية: "على كثرتها وكثرة مسائلها إنما هي بيان للكتاب"[١٣]، يقول القرطبي في بيان العلاقة بين السنة وبين القرآن الكريم ودورها في تفسيره: "ثم جعل إلى رسول الله بيان ما كان منه مجملاً، وتفسير ما كان منه مشكلاً، وتحقيق ما كان منه محتملاً"[١٤]، ومما ينقل عن مكحول قوله: "إن القرآن أحوج إلى السنة من السنة إلى القرآن"[١٥].

ويشير الإمام الشاطبي إلى وجوب الرجوع إلى السنة لفهم القرآن فيقول رحمه الله تعالى: "إن السنة توضح المجمل وتقيد المطلق وتخصص العموم، فتخرج كثيرا من الصيغ القرآنية عن ظاهر مفهومها في أصل اللغة، وتعلم بذلك أن بيان السنة هو مراد الله تعالى من تلك الصيغ، فإذا طرحت واتبع ظاهر الصيغ بمجرد الهوى صار صاحب هذا النظر ضالا في نظره، جاهلا بالكتاب، خابطا في عمياء، لا يهتدي إلى الصواب فيها، إذ ليس للعقول من إدراك المنافع والمضار في التصرفات الدنيوية إلا

---

(١٠) منهج الإمام ابن جرير الطبري في الترجيح: ٩٩ .
(١١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن للطبري: ١/ ٧٤ .
(١٢) الموافقات في أصول الشريعة للشاطبي: ١٢/٤ .
(١٣) الموافقات للشاطبي: ٣/ ١٤٢.
(١٤) تفسير القرطبي: ٢/١ .
(١٥) تفسير القرطبي: ٣٩/١ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الدلالة، وهي في الأخروية أبعد على الجملة والتفصيل"(١٥).

المبحث الثالث
التفسير النبوي للقرآن

بين القرآن أن مهمة الرسول هي البيان، وهذا يعني أنه لا يستغنى عن البيان النبوي، لأنه لا أحد أعلم بمراد الله من رسوله.

الأنواع المستنبطة في تفسير الرسول للقرآن:

١- أن يبتدأ النبي بالتفسير فينص على تفسير آية أو لفظة، وله أسلوبان:

أ- أن يذكر التفسير، ثم يذكر الآية المفسرة.

مثاله: قوله تعالى: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ وُدًّا ﴿٩٦﴾ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَٰهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ ٱلْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِۦ قَوْمًا لُّدًّا ﴿٩٧﴾ ﴾ (١٧).

عن أبي هريرة : أن رسول الله صلى الله عليه و سلم قال إذا أحب الله عبدا نادى جبريل أني قد أحببت فلانا فأحبه قال فينادي في السماء ثم تنزل له المحبة في أهل الأرض فذلك قول الله ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ وُدًّا ﴾ وإذا أبغض الله عبدا نادى جبريل إني أبغضت فلانا فينادى في السماء ثم تنزل له البغضاء في الأرض" (١٨)

ب- أن يذكر الآية، ثم يذكر تفسيرها.

مثاله: قوله تعالى: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ ﴾ (١٩).

عن عقبة بن عامر الجهني قال: قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم على

---

(١٦) ينظر: الموافقات: ٤/ ٣٣٤.
(١٧) مريم: ٩٦، ٩٧ .
(١٨) رواه الترمذي في سننه، قال أبو عيسى هذا حديث حسن صحيح، سنن الترمذي، حديث رقم: ٣٤٥٧، (١١/ ٤٤٣).
(١٩) الأنفال: ٦٠ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

المنبر :(وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل)، فقال: "ألا إن القوة الرمي، ألا إن القوة، الرمي" ثلاث مرات"(٢٠).

٢- أن يشكل على الصحابة فهم آية فيفسرها لهم.

مثاله: عن عبد الله رضي الله عنه قال: لما نزلت "الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم " . شق ذلك على المسلمين فقالوا يا رسول الله أينا لا يظلم نفسه ؟ قال: ليس ذلك إنما هو الشرك ألم تسمعوا ما قال لقمان لابنه وهو يعظه: " يا بني لا تشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم" (٢١)"(٢٢).

٣- أن يذكر في كلامه ما يصلح أن يكون تفسيراً للآية.

مثاله: قوله تعالى: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَجِاْيٓءَ يَوْمَئِذِۭ بِجَهَنَّمَۚ يَوْمَئِذِۭ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ وَأَنَّىٰ لَهُ ٱلذِّكْرَىٰ ﴿٢٣﴾ ﴾ (٢٣).

عن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "« يؤتى بجهنم يومئذ لها سبعون ألف زمام مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها » (٢٤).

٤- أن يتأول القرآن، فيعمل بما فيه أمر،ويترك ما فيه نهي.

مثاله: عن عائشة رضي الله عنها قالت ما صلى النبي صلى الله عليه و سلم صلاة بعد أن نزلت عليه: " إذا جاء نصر الله والفتح " . إلا يقول فيها: "سبحانك ربنا وبحمدك اللهم اغفر لي"(٢٥).

المبحث الرابع
حجية تفسير القرآن بالسنة

فيما يتعلق بحجية السنة النبوية في تفسير القرآن الكريم، فإن الطبري تناول ذلك في مقدمته، وفي أثناء تفسيره معاً، فقد كان يرى أن السنة تأتي في المرتبة الثانية مباشرة بعد القرآن الكريم، وأن الرسول هو أعلم بالقرآن من دون سائر البشر، وذلك

---

(٢٠)هذا الخبر رواه الترمذي من طريق وكيع عن أسامة بن زيد ، ثم قال : " وقد روى بعضهم هذا الحديث عن أسامة بن زيد ، عن صالح بن كيسان ، عن عقبة بن عامر ، وحديث وكيع أصح ، وصالح بن كيسان لم يدرك عقبة بن عامر ، وأدرك ابن عمر"، ينظر: تعليق أحمد شاكر على جامع البيان: (١٤/ ٣٣) .

(٢١) لقمان: ١٣ .

(٢٢) رواه البخاري في صحيحه، باب: ولقد آتينا لقمان الحكمة، حديث رقم: ٣٢٤٦، (١٢٦٢/٣).

(٢٣) الفجر: ٢٣.

(٢٤) رواه مسلم في صحيحه، باب:في شدة حر نار جهنم وبعد قعرها، حديث رقم:٧٣٤٣، (٨/ ١٤٩).

(٢٥) رواه البخاري، باب سورة النصر، حديث رقم: ٤٦٨٣، (٤/ ١٩٠٠).

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

قول: "ورسول الله أعلم بما أنزل الله عليه، وليس لأحد مع قوله الذي يصح عنه
قول"[٢٦].

وقد ألحق الطبري ذلك عملياً في تفسيره في أكثر من موضع ، ومنها قوله: "
وأما قول من قال إن"اللاعنين" هم الخنافس والعقارب وما أشبه ذلك من دبيب الأرض
وهوامها، فإنه قول لا تدرك حقيقته إلا بخبر عن الله أن ذلك من فعلها تقوم به
الحجة، ولا خبرَ بذلك عن نبي الله صلى الله عليه وسلم، فيجوز أن يقال إنّ ذلك
كذلك"

وإذا كان ذلك كذلك، فالصواب من القول فيما قالوه أن يقال: إن الدليل من ظاهر كتاب الله موجودٌ بخلاف قول أهل التأويل، وهو ما وصفنا. فإنْ كان جائزًا أن تكون البهائم وسائرُ خلق الله، تلعن الذين يكتمون ما أنزل الله في كتابه من صفة محمد صلى الله عليه وسلم ونعته ونبوّته، بعد علمهم به، وتلعن معهم جميع الظَّلمة - فغير جائز قطعُ الشهادة في أن الله على ب"اللاعنين" البهائمَ والهوامَّ ودَبيب الأرض، إلا بخبر للعذر قاطع. ولا خبرَ بذلك[٢٧].

وعلى هذا الأساس فإن" تأويل القرآن غير مدرك، ألا ببيان من جعل الله إليه بيان القرآن، وهو رسول الله"[٢٨]، بل إنه يعطي لتفسير الرسول صفة الإلزام، فيقول: "وكان بيانه صلى الله عليه وسلم لأمّته جُمَلَ ما نصّ الله في كتابه، وفَرْضه في تنزيله، وأمرَ به مما لم يُدْرَك علمه إلا ببيانه، لازمًا العمل به أمته، كما قد بينا في كتابنا"كتاب البيان عن أصول الأحكام" [٢٩]، بل إن التفسيرات الأخرى (غير السنية) تغدو باطلة ومردودة أمام الآثار المروية عن الرسول " وغير جائز لأحد من أهل الإسلام الاعتراض بالرأي على ما نقله المسلمون وِرَاثَةً عن نبيهم صلى الله عليه وسلم نقلا ظاهرًا قاطعًا للعذر. لأن ما جاءت به الحجة من الدين، هو الحق الذي لا شك فيه أنه من عند الله. ولا يُعترض على ما قد ثَبت وقامت به حُجة أنه من عند

(٢٦) جامع البيان: ١١٤/٢٥ .
(٢٧) جامع البيان: ٣/ ٢٥٨.
(٢٨) جامع البيان: ٢/ ٢٨٣ .
(٢٩) جامع البيان: ٢٤٤/٣ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الله، بالأراء والظنون والأقوال الشاذة" (٣٠).

وفي إطار حجية السنة ذهب الطبري إلى الأخذ بخبر الواحد إذا تحققت عنده شروط قبوله، وعلى هذا الأساس كان يرد بعض التفسيرات التي لا يثبت خبر صحيح في شأنها سواءً من لدن الواحد العدل أو الجماعة يقول مثلاً: " ولا خبر بذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ثبتت حجته من جهة نقل الواحد العدل ، ولا من جهة النقل المستفيض" (٣١).

ومما يدل على اعتبار الطبري خبر الواحد طريق من الطرق التي يعتمد عليها في التفسير ما ورد في تفسير لقوله تعالى: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ۞ وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ﴾ (٣٢)، حيث يسوق روايات متعددة في معنى(الكلمات) في الآية، ينتهي بعدها إلى أنه لم يثبت خبر صحيح عن الرسول بنقل الواحد أو الجماعة يثبت حصر معنى (الكلمات) في معنى دون آخر (٣٣).

المبحث الخامس
اوجه ثبوت الخبر النبوي

يقول الطبري: "فأحقُّ المفسرين بإصابة الحق -في تأويلِ القرآنِ الذي إلى عِلم تأويله للعباد السبيلُ- أوضحُهم حُجة فيما تأوّل وفسَّر، مما كان تأويله إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم دون سائر أمته من أخبار رسول الله صلى الله عليه وسلم الثابتة عنه: إمَّا من جهة النقل المستفيض، فيما وُجِد فيه من ذلك عنه النقلُ المستفيض، وإمَّا من جهة نقل العدول الأثبات، فيما لم يكن فيه عنه النَّقلُ المستفيض، أو من جهة الدلالة المنصوبة على صحته؛ وأصحُّهم برهانًا - فيما ترجَم وبيَّن من ذلك- ممَا كان مُدركًا علمُه من جهة اللسان: إمّا بالشواهد من أشعارهم السائرة، وإمّا من منطقهم ولغاتهم المستفيضة المعروفة، كائنًا من كان ذلك المتأوّل والمفسِّر، بعد أن لا يكون خارجًا تأويلُه وتفسيره ما تأول وفسر من ذلك، عن أقوال السلف من الصحابة والأئمة،

(٣٠) جامع البيان؛ ٣/ ٤٣٨ .
(٣١) جامع البيان: ٢/ ٥١٧ .
(٣٢) البقرة: ١٢٤.
(٣٣) ينظر: جامع البيان: ٣/ ١٥ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

والخلف من التابعين وعلماء الأمة" (٣٤).

بتحليل النص السابق للطبري تظهر لنا ثلاث صور لثبوت الحديث النبوي، وهي:

١- **ماتحقق فيه النقل المستفيض.**

وكان الطبري يشير بهذا إلى ماالصطلح عليه المتأخرون بـ (الحديث المتواتر)، وهذا يفيد العلم النظري .

ومن أشهر أمثلته : حديث "من كذب علي متعمدا فليتبوأ مقعده من النار"(٣٥) فهذا الحديث رواه مايقارب مائة صحابي عن الرسول صلى الله عليه وسلم.

٢- **ماثبتت صحته بنقل العدول الأثبات على الشرط المعتبر عند أهل الحديث، ولم يأت به النقل المستفيض كالأول .**

ومن أمثلته: مارواه الشيخان وغيرهما من طريق يحيى بن سعيد الأنصاري قال أخبرني محمد بن إبراهيم التيمي أنه سمع علقمة بن وقاص الليثي يقول سمعت عمر بن الخطاب رضي الله عنه على المنبر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :" إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرىء ما نوى فمن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو إلى امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه" (٣٦).

فهذا حديث فرد لا يعرف ثابتا بغير هذا الإسناد، وليس له طريق ثان فضلا عن أن يكون مستفيضا متواترا، ومع ذلك فهو حديث صحيح لأنه مروي بنقل العدول الأثبات، واتفق الشيخان على جلالتهما على تخريجه .

والنقل المستفيض ، ونقل العدول الأثبات لا إشكال فيهما ، وقد قال الطبري عند قوله تعالى: قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلَّذِينَ ٱعْتَدَوْا۟ مِنكُمْ فِى ٱلسَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا۟

---

(٣٤) جامع البيان: ١/ ٩٣.

(٣٥) رواه البخاري، باب ماذكر عن بني إسرائيل، حديث رقم: (٣٢٧٤)، ٣/ ١٢٧٠ ، وباب ما يكره من النياحة على الميت، حديث رقم: (١٢٢٩)، ١/ ٤٣٤، وباب من سمى بأسماء الأنبياء، حديث رقم: (٥٨٤٤)، ٥/ ٢٢٩٠، ورواه مسلم، باب في التحذير من الكذب على رسول الله، حديث رقم: (٤)، ١/ ٨.

(٣٦) رواه البخاري، باب بدء الوحي، حديث رقم: (١) ، ١/ ٣ ، ورواه مسلم ، باب قَوْلِهِ صلى الله عليه وسلم- « إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّةِ ، حديث رقم: (٥٠٣٦)، ١٢/ ٤٥٧.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

﴿قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ ﴿٦٥﴾﴾ (٣٧)، وأشار إلى معنى المسخ في الآية وقول مجاهد في ذلك، قال: "ومن أنكر شيئا من ذلك وأقر بآخر منه؛ سئل البرهان على قوله وعورض فيما أنكر من ذلك بما أقر به، ثم يسأل الفرق من خبر مستفيض، أو أثر صحيح (٣٨)".

٣- ما دلت الأدلة والقرائن على صحة هذا الخبر.

فهو حديث غير مستفيض، ورواته ليسوا في درجة العدول الأثبات الضابطين بحيث يصحح الخبر أصالة لذاته، وإنما اتصف هذا الخبر بقادح تقاصر معه عن درجة الصحيح، إما لسقط في الإسناد، أو طعن في الراوي، لكن هذا القادح انجبر في نظر الناقد بأي جابر معتبر، كأن يشهد له حديث آخر، أو يتابع الراوي الذي جرح في حفظه بمثله أو أقوى منه، أو يعرف أن هذا الحديث المعين قد حفظه ذلك الراوي المجروح لدليل ظهر للناقد، أو لغير ذلك مما يرقي هذا الخبر إلى درجة القبول.

مثاله: عند تفسير آية المحرمات في سورة النساء أشار رحمه الله إلى الفرق بين أم الزوجة وبنتها (الربيبة) فقال :" وقد روي بذلك أيضا عن النبي صلى الله عليه وسلم خبر غير أن في إسناده نظرا... وهذا خبر وإن كان في إسناده ما فيه ، فإن في إجماع الحجة على صحة القول به مستغنى عن الاستشهاد على صحته بغيره (٣٩).

المبحث السادس

الأوجه العقلية في تفسير القرآن بالسنة

السنة النبوية من أهم ما يعتمد عليه في تفسير القرآن الكريم، فهي تأتي مؤكدة لما ذكره، وتأتي شارحة ومبينة وموضحة. وهذا الشرح يمكن أن يكون بيانًا لمفردة، أو تفصيلا لمجمل، أو إزالة لإشكال.

الوجه الأول: تأكيد ما جاء في القرآن.

الأمثلة على السنة المؤكدة لما جاء في القرآن كثيرة في تفسير الطبري، منها:

(٣٧) البقرة:٦٥.
(٣٨) جامع البيان: ٢/ ١٧٣ .
(٣٩) جامع البيان: ٨/ ١٤٦ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ما جاء عند تفسير قوله تعالى: قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴿١٠٢﴾﴾ (٤٠).

قال ابو جعفر: يقول تعالى ذكره: وكما أخذت، أيها الناس، أهل هذه القرى التي قصصت عليك نبأ أهلها بما أخذتهم به من العذاب، على خلافهم أمري، وتكذيبهم رسلي، وجحودهم آياتي، فكذلك أخذي القرى وأهلها إذا أخذتهم بعقابي، وهم ظلمة بكفرهم بالله، وإشراكهم به غيره، وتكذيبهم رسله -(إنَّ أخذه أليم)، يقول: إن أخذه - أليم، يقول: موجع - شديد الإيجاع. وهذا من الله تحذير لهذه الأمة، أن يسلكوا في معصيته طريق من قبلهم من الأمم الفاجرة، فيحل بهم ما حلّ بهم من المثلات، كما حدثنا أبو كريب قال ، حدثنا أبو معاوية، عن بريد عن أبي بردة، عن أبيه، عن أبي موسى قال، قال رسول الله (ﷺ): إن الله يُملي- وربما، قال: يمهل - الظالمَ، حتى إذا أخذه لم يُفْلِتْه(٤١)» (٤٢).

الوجه الثاني: تفصيل ما جاء مجملاً في القرآن.

يتسم بيان القرآن بالكلية غالبًا. "ومفهوم الكلية هو الإجمال دون التفصيل وبيان الكيفيات والأسباب والأركان والشروط والموانع. وهذا ما تكفلت به السنة، والمجمل من حيث هو مجمل لا يقع به تكليف، فكان القرآن في حاجة ماسة إلى بيانه بالمأثور من السنة.

وهذا ما أكد الشاطبي عليه؛ حيث يقول: "تعريف القرآن بالأحكام الشرعية أكثره كلي لا جزئي ... والسنة على كثرتها وكثرة مسائلها إنما هي بيان للكتاب، وقد قال الله تعالى:قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٤﴾﴾ (٤٣) ... وإذا كان كذلك فالقرآن جامع، ولا يكون جامعًا إلا

(٤٠) هود : ١٠٢.
(٤١) رواه البخاري في كتاب تفسير القرآن في تفسير قوله: وكذلك أخذ ربك رقم ٤٦٨٦، (٨/ ٤٥١)، ومسلم في كتاب البر والصلة، باب تحريم الظلم رقم ٤٦٥٢، (١٦/ ٣٥٦).
(٤٢) جامع البيان: ٤٧٥/١٥ .
(٤٣) النحل : ٤٤.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

والمجموع فيه أمور كليات ... لم يكون جميع أحكامها في القرآن إنما بينتها السنة[11]".

"السنة راجعة في معناها إلى الكتاب، فهي تفصيل مجمله، وبيان مشكله، وبسط مختصره ... فلا تجد في السنة أمرًا، إلا والقرآن قد دلّ على معناه دلالة إجمالية أو تفصيلية[12]".

وعلى ما تقدم فإن المفسرين إذا اختلفوا في بيان أمر جاء مجملاً في القرآن، فإن الواجب قبول الرأي الذي تؤيده السنة من أقوالهم، وهذا اتجاه الطبري في تفسيره، والأمثلة من تفسيره على ذلك كثيرة منها:

ما جاء عند تفسير قوله تعالى: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧١﴾ ﴾ [16]".

يقول الطبري: واختلف أهل العلم في معنى الورود الذي ذكره الله في هذا الموضع، فقال بعضهم: الدخول... وقال آخرون: بلّ هو المرّ عليها... وقال آخرون: بل الورود: هو الدخول، ولكنه عنى الكفار دون المؤمنين... وقال آخرون: ورود المؤمن ما يصيبه في الدنيا من حمّى ومرض.

ثم يختار الطبري قول من قال هو المرور عليها.

يقول الطبري: وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال: يردها الجميع ثم يصدر عنها المؤمنون، فينجيهم الله، ويهوي فيها الكفار وورودهموها هو ما تظاهرت به الأخبار عن رسول الله (ﷺ)من مرورهم على الصراط المنصوب على متن جهنم، فناج مسلم ومكدس فيها.

ثم يستدل لهذا الرأي بأحاديث من السنة النبوية [17].

الوجه الثالث: رفع الاحتمال عن بعض آيات القرآن.

وهذا الوجه من وجوه بيان السنة للقرآن، ومن الأمثلة على هذا الوجه من تفسير

---

(11) ينظر: الموافقات:٤/ ١٨٠- ١٨١ .
(12) الموافقات: ٤/ ٣١٤.
(16) مريم: ٧١.
(17) ينظر: جامع البيان: ١٨/ ٢٣٠- ٢٣٥.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الطبري:

ما جاء عند تفسير قوله تعالى: "قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٤٠﴾ ﴾ (٤٨).

يذكر الطبري قولين في تفسير الآية.

القول الأول: إن الله لا يبخس أحدًا من خلقه أنفق في سبيله مما رزقه، من ثواب نفقته في الدنيا، ولا من أجرها يوم القيامة، "مثقال ذَرّة"، أي: ما يزنها ويكون على قدر ثقلها في الوزن، ولكنه يجازيه به ويُثيبه عليه.

الثاني: قول ابن مسعود: "إن الله لا يظلم يوم القيامة عبدًا وجب له مثقال ذرة قبل عبد آخر يأخذ لكل مظلوم حقه من ظالمه".

ثم يختار الطبري الرأي الأول، لأن السنة تقويه، يقول الطبري: ولكلا التأويلين وجه مفهوم - أعني التأويل الذي قاله ابن مسعود، والذي قاله قتادة - وإنما اخترنا التأويل الأول، لموافقته الأثرَ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم" (٤٩)

ومن ذلك ما جاء عند تفسير قوله تعالى: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾ ﴾ (٥٠)، حيث يذكر الطبري قولين في معنى كلمة "ناظرة"، يقول الطبري: اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك:

فقال بعضهم: معنى ذلك: أنها تنتظر إلى ربها...وقال آخرون: بل معنى ذلك: أنها تنتظر الثواب من ربها(٥١).ثم يؤيد الطبري الرأي الأول لأن السنة تقويه.

يقول الطبري: وأولى القولين في ذلك عندنا بالصواب القول الذي ذكرناه عن الحسن وعكرِمة، من أن معنى ذلك تنظر إلى خالقها، وبذلك جاء الأثر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم:

الوجه الرابع: إزالة الإشكال عن بعض آيات القرآن الكريم.

من الأمثلة على هذا الوجه في تفسير الطبري:

---

(٤٨) النساء: ٤٠ .
(٤٩) جامع البيان: ٨/٣٦٠- ٣٦٥.
(٥٠) القيامة: ٢٢، ٢٣.
(٥١) جامع البيان: ٢٤/ ٧١- ٧٢ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

بعد أن فسر التبرج بالتبختر والتكسر، وذكر الأقوال في المراد بالجاهلية الأولى.

فقال بعضهم هي ما بين عيسى ومحمد عليهما السلام، وقال آخرون: هي ما بين آدم ونوح – عليهما السلام –، وقال آخرون: بل ذلك بين نوح وإدريس. –عليهما السلام، بين الطبري أن الآية تحتمل كلّ هذه الأقوال.

وأولى الأقوال في ذلك عندي بالصواب أن يقال: إن الله تعالى ذكره نهى نساء النبي أن يتبرجن تبرج الجاهلية الأولى، وجائز أن يكون ذلك ما بين آدم وعيسى، فيكون معنى ذلك: ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى التي قبل الإسلام.

ثم يورد الطبري إشكالاً في تفسير الآية فيقول: "فإن قال قائل: أوَفي الإسلام جاهلية حتى يقال عني بقوله: "الجاهلية الأولى" التي قبل الإسلام؟

يزيل الطبري هذا الإشكال بقوله: قيل: فيه أخلاق من أخلاق الجاهلية". [٥٣]

ويستدلّ على ذلك بقول النبي(ﷺ) لأحد الصحابة.

يقول الطبري: ... قال ابن زيد في قوله قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ ﴾

قال: يقول: التي كانت قبل الإسلام، قال: وفي الإسلام جاهلية؟ قال: قال النبي صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لأبي الدرداء، وقال لرجل وهو ينازعه: يا ابن فلانة: لأمّ كان يعيره بها في الجاهلية، فقال رسول الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "يَا أَبَا الدَّرْدَاءِ إِنَّ فِيكَ جَاهِلِيَّةً"، قال: أجاهلية كفر أو إسلام؟ قال: بل جاهلية كفر، قال: فتمنيت أن لو كنت ابتدأت إسلامي يومئذ. قال: وقال النبي صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "ثَلَاثٌ مِنْ عَمَلِ أَهْلِ الْجَاهِلِيَّةِ لا يَدَعُهُنَّ النَّاسُ: الطَّعْنُ بِالأَنْسَابِ، وَالاسْتِمْطَارُ بِالْكَوَاكِبِ، وَالنِّيَاحَةُ[٥٤]".

([٥٢]) الأحزاب: ٣٤.
([٥٣]) جامع البيان: ٢٠/٢٦٠- ٢٦١ .
([٥٤]) رواه البخاري في كتاب الإيمان باب المعاصي من أمر الجاهلية رقم ٣٠ (١/١١٥) ، ومسلم في كتاب الأيمان باب إطعام المملوك مما يأكل رقم ٤٢٨٩ (١١/١٣٤) .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner
الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الخاتمة

مما سبق يتضح لنا منزلة السنة من التفسير بالمأثور، ومدى حجيتها كونها
ي المرتبة الثانية في التفسير مباشرة بعد القرآن الكريم، وأن السنة النبوية من أهم
ا يعتمد عليه في تفسير القرآن الكريم، فهي تأتي مؤكدة لما ذكره، وتأتي شارحة
بينة وموضحة. وهذا الشرح يمكن أن يكون بيانًا لمفردة، أو تفصيلا لمجمل، او
إزالة لإشكال.

كما يتضح لنا أن الطبري لم يكن مجرد ناقل للروايات والأحاديث عن
النبي(ﷺ)، وإنما كان له جهد عقلي في استخدام هذه الروايات الحديثية في تفسيره.

المصادر والمراجع

- الاستيعاب في معرفة الأصحاب : أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي، المتوفى:٣٦٤هـ، تحقيق: علي محمد البجاوي، الناشر: دار الجيل، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ، ١٩٩٢م.
- أسد الغابة : أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري، عز الدين ابن الأثير، المتوفى: ٦٣٠هـ، الناشر : دار الفكر - بيروت ، ١٤٠٩هـ، ١٩٨٩م.
- أصول التشريع الإسلامي: علي حسب الله، الناشر: دار الفكر العربي، بيروت، ١٩٩٧م.
- التاريخ الكبير: محمد بن إسماعيل بن إبراهيم أبو عبد الله البخاري الجعفي، تحقيق: السيد هاشم الندوي، الناشر: دار الفكر، بيروت.
- تهذيب الآثار وتفصيل الثابت عن رسول الله من الأخبار: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري ، المتوفى: ٣١٠هـ، تحقيق: محمود محمد شاكر، الناشر: مطبعة المدني – القاهرة.
- توجيه النظر إلى أصول الأثر: طاهر الجزائري الدمشقي، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، الناشر : مكتبة المطبوعات الإسلامية – حلب، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ –

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

١٩٩٥م.

- جامع البيان عن تاويل آي القرآن: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الأملي، أبو جعفر الطبري، تحقيق: أحمد محمد شاكر، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ- ٢٠٠٠م.
- الجامع الصحيح "سنن الترمذي": محمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي السلمي، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- الجامع الصحيح المختصر" صحيح البخاري": محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، تحقيق : د. مصطفى ديب البغا، الناشر : دار ابن كثير ، اليمامة - بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.
- الجامع لأحكام القرآن "تفسير القرطبي": أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش ، دار الكتب المصرية - القاهرة الطبعة الثانية، ١٣٨٤هـ، ١٩٦٤م.
- المستدرك على الصحيحين : أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نُعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، الناشر : دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ، ١٩٩٠م.
- مسند الإمام أحمد بن حنبل: أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني ، المتوفى: ٢٤١هـ، تحقيق : أحمد محمد شاكر ، الناشر: دار الحديث - القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ، ١٩٩٥م.
- منهج الطبري في الترجيح: د.حسين علي الحربي، دار الجنادرية للنشر والتوزيع - عمان- الأردن، الطبعة الأولى: ١٤٢٩هـ، ٢٠٠٨م.
- الموافقات في أصول الشريعة: إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي ، المتوفى ٧٩٠هـ، تحقيق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، الناشر : دار ابن عفان- القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ-١٩٩٧م.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner